البعد الحضاري لحوار الأمية

محمد جلوب فرحان

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مقدمـــــــــــة : —

١ — ينشد هذا البحث رصد«الامية» انكفاءة حضارية في مختلف اوجه الحياة السياسية والفكرية، الاقتصادية والاجتماعية و« مرضا » مستوطناً في حياة الامة العربية ، وكونها « مسارا» شاذا لحركة التاريخ العربي، أنكشف فيه الانحسار او « الجزر» الحضاري للامة لأن سيادة الامية تعني : —

آ. ان هناك خللا في بناء « الواقع » ، برز على شكل « هوة » بين ماتطرحه ، وتطمح إلى تحقيقه « القيادة »وبين « الذهنية» المريضة للجماهير، تلك الذهنية التي جاهدت القوى الاستعمارية ترسيخها في واقع الامة ، والقائمة على الفصل بين حال الجماهير والبعد السياسي لهذا الحال ، وخلق العجز لدى الجماهير لاستيعاب السياق التاريخي للمرحلة .

ب. ان هناك« تنظيراً »فكريا، اعدت بناءه، وساعدت على شيوعه، وسيادة ابعاده دوائر واوساط سياسية قاهرة ومستغلة للامة قصد تفشي الامية . وفي احسن الاحوال التركيز على التغريب الثقافي للانسان العربي، لان تلك الدوائر ادركت ان ليس من مصلحتها يتوفر الوعي من ناحية ، وركزت من ناحية اخرى على سيادة التخريب الفكري في ثقافة الجماهير، لأن « الوعي » والنضوح الفكرى الملتصق بتراب الامة يعني ادراك المخاطر (والامراض) التي افرزها وساعد على ابرازها ذلك التنظير، لذلك حاولت تلك الدوائر جاهدة ترسيخ العوامل المساعدة لهذا المرض وتثبيت هذه الانكفاءة الحضارية .

ج . ان هناك تخريباً عج في البنيه الاقتصادية للامة ، تتأتي من ان « الامية » خلقت وافرزت«انكسارا»في البناء الاقتصادي تحدد في جهل القوى الانتاجية الجماهير الكادحة — وفي قصور وعي هذه القوى لاستيعاب اهمية«البعد الزمني» والاقتصاد في النفقات والاستهلاك، او بمعنى اخر«ديمومة» النزف المسرف في«المواد» و«الوسائل»فبرزت المعوقات التي ادت إلى التأخير او التأجيل في احسن الاحوال في عملية التغيير والبناء التي تتمثل بكونها السمة الحضارية البارزة في عالمنا الراهن.

د. ان هناك «عقدا» و «ازمات» اجتماعية خلقتها «الامية» تظهر على شكل «امراض» «وانكسارات» ، وشيوع «الانانية» ، وتغليب المصالح الذاتية ، وتعطيل لجزء مهم من المجتمع وهو «المرأة» عن الاسهام في عملية البناء .. وخلق القصور وترسيخ عجز الجماهير في سبر اغوار الحاضر ، وفك حجب المستقبل للاجيال الجديدة.

وعلى ضوء هذه الحدود التي ننظر فيها للمشكلة ، نرى ان «الامية» تمثل «مأزقاً» حضاريا في حياة الامة العربية ، وان محوها يجسد الحل او الخروج من هذا المازق .. الحل الذي استهدف تفجير الطاقات الابداعية للانسان العربي ، ليشارك ويسهم في بناء الصرح الحضاري للامة والانسانية على حد سواء ، لذلك نشدت «القيادة» السياسية في القطر العراقي تحديد ملامح وسمات «المسار» الحضاري الجديد للامة ، من خلال تأشير «محو» الامية حلا حضاريا للمازق السياسي والفكري والاقتصادي والاجتماعي للامة العربية .

صورة المشكلة : —

٢ — نرى في البداية ان نرسم ابعاد المشكلة بصورة دقيقة ، ونرى ان رسم هذه الصورة وتأشيرها يلزمنا ان نطرح بديهيتين نحدد في ضوئهما بحث المشكلة قيد الدرس.

البديهية الاولى : ان الامية تعبر وترتبط بسياق تأريخي معين في حياة الامة وان «الامية» « حالة مرضية » اتشحت فيها الامة بثوب «الانكسار» السياسي والفكري الاقتصادي والاجتماعي .

البديهية الثانية : ان «محو» الامية يعني ان الامة تزينت بثوب «المد» والعطاء الحضاري ، لاننا نعتقد بتواضع ان حضارة اي شعب او أمة ما تقاس بمقدار الوعي السياسي والنضوج الفكري مؤسسات وافراداً ، والازدهار الاقتصادي والدرجة التي بلغها المجتمع علاقات وتنظيم (١) .

ومن الضروري ان نشير إلى أن تاريخ الامة العربية قد شهد في مرحلة تاريخية سابقة حلا انقلاباً في تجربتها الحية (الاسلام) تحددت ابعادها في قلب «صورة»

الواقع ، تلك الصورة التي تمثلت في كونها انكفاءة حضارية ، لذلك جاهدت الامة في تجربتها تلك ، تأشير الحل اضافة إلى نشدانها سيادته وشيوعه .. ويقدر ما ارتبطت « الامية» في ذلك الواقع وعبرت عن مرحلة تاريخية عاشتها الأمة، بقدر ما عبر « الحل» لها ، عن طريق شيوع العلم والمعرفة ، والحث على امتلاكها حلا ارتبط هو الآخر بمرحلة تاريخية جديدة دخلتها الامة .

وبهدى هذا الطرح نجد أن القاريء الجيد لتاريخ البشرية يدرك ان هناك سمة بارزة وضاغطة في هذا التاريخ ، تتكشف في صور التنافس بين الامم والحضارات قديماً وحديثاً على اساس امتلاك رصيد اوفر من المعرفة وادواتها ، وتوفير القدرة على انتاجها واستثمارها . وقد التفت تراثنا الحضاري العربي إلى التزود بالمعرفة ووسائلها منذ انطلاقة الدعوة الاسلامية ، من شبه الجزيرة العربية فكان طلب العلم فريضة ، وكان النداء بالسعي وراء العلم مهما كانت المشقات حتى في الصين ، وكان تعليم القراءة والكتابة ثمناً لفدية الاسرى، وجاءت كرامة الانسان مرتبطة بالعلم والمعرفة في قوله تعالى : «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون » (٢) .

كما ليس في استطاعة اي مؤرخ اجتماعي منصف أن ينكر الخلق والابداع الحضاري العربي الذي كان من أهم روافده . امتلاك لرصيد ضخم من المعرفة وادواتها ووسائلها ، وليس من قبيل الرمز فحسب ان يكون احراق المكتبة في بغداد على يد « هولاكو» ايذاناً بانحلال مصادر الخلق والابداع .

ثم تجيء عصور الاستعمار الحديث لتجعل من امتلاك فئة محدودة لادوات المعرفة ولمهاراتها وسيلة لسيطرتها على مقدرات الغالبية من جماهير الامة ، واذا كان لابد من نشر المعرفة ووسائلها فلابد أن يكون ذلك بمقدار محسوب وبحدود يمكن ضبطها ، فالشعب الجاهل اسلس قيادا من الشعب المتعلم .(٣)

ومن هنا نرى أن الانتقال بالواقع العربي من اسارات القصور ، وقيود التخلف ، نحو مستقبل مشرق وحياة كريمة يتجاوب فيها مع متطلبات العصر.

اصبح بالنسبة للمجتمع العربي قضية حتمية وخياراً فاصلا في أن يكون أو لايكون . ومن هذا الموقف نرى ضرورة تحديد الاستراتيجية ، التي نستطيع بهديها وقف هذا النزف في طاقات الجماهير .. وهذا يعني ان «الامية» لم تعد في كل ابعادها مشكلة تعليمية او تربوية فحسب بل هي في الاساس مشكلة حضارية ، لذا ينبغي تحرير مفهوم« محو الامية »من اطاره الضيق المقصور على تعلم القراءة والكتابة والحساب . ومن اعتباره ايضانشاطاً تعليميا من الدرجة الدنيا ، ليستوعب الابعاد الحضارية المنبثقة عنها ، وبحيث يصبح اكتساب مهارات القراءة والكتابة والحساب ليس غاية في حد ذاتها بقدر ما يجب ان تكون وسيلة لبلوغ غايات اكثر اهمية ، ومن هنا ينبغي توظيف تلك المهارات المكتسبة في سياق التقدم لتحقيق المشاركة الايجابية في بناء المجتمع الجديد . والقيام بالمسؤوليات التي تقتضيها المواطنة الصالحة .

وفي ضوء هذا المفهوم الجديد ينبغي برمجة الاهداف على شكل مسارات ، ومستويات محددة لمناهج محو الامية وتعليم الكبار بحيث يتحقق التكامل بين مرحلتين هما :

آ — الحد الادنى لمحو الامية : ويعني قدرة الفرد على قراءة فقرة ما من صحيفة يومية بفهم .. والتعبير الكتابي عن فكرة أو أكثر تعبيراً سليما واضحا خاليا من الاخطاء .. واجراء العمليات الرياضية الاساسية التي تتطلبها حياةالفرد اليومية ، ومعرفة وفهم اساسيات ثقافة مجتمعه العربي .

ب — تعليم الكبار فياطار فلسفة التعليم المستمر ،ليشمل كل احتياجات الفردالتعليمية والثقافية ،بما يمكنه من تنميةخبراته وقدراته بالقدر الذي يكفل لـه رفع مستواه الاجتماعي وتحقيق تكامله الايجابي مع ظروف ومتطلبات مجتمعه.(٤)

وضع المشكلة قوميـة : —

٣ — يتميز واقع الامة العربية بتجربتها المعاصرة ، بخصوصية بارزة تجلت

في أن هذه الامة ابتليت بالاستعمار لتاريخ طويل ، عمق معاناة الامة الشديدة من التخلف في مختلف مرافق الحياة ، ذلك التخلف الذي يعبر عن الانحراف في المسار الحضاري للانسانية .. وأن هذا التخلف حتم على الاقطار العربية في جملتها ، منذ فجر استقلالها أن تنادى بسياسات تعليمية ، كان محو الامية بين الكبار حجر الزاوية فيها ، وذلك من اجل خلق مجتمعات قادرة على مواجهة التحديات في عالمنا الراهن .

ونرى من الضروري أن نشير إلى أن «الحلول» التي طرحتها هذه الاقطار لمعالجة هذا المرض المستوطن ، كانت قاصرة ، ووسائلها عاجزة نتيجة لعدم استيعاب حدود وطبيعة المرض بشكل شامل ودقيق ، وبذلك لم ترتق تلك « الحلول » إلى مستوى الابعاد المرتبطة بهذا المرض .. ويظهر ذلك واضحا في ضآلة الانجازات التي تم تحقيقها في هذا المجال ويكفي ان نلقي نظرة إلى « حالة الامية في المنطقة خلال العقد المنصرم (١٩٦٠ — ١٩٧٠) لنرى ماآلت اليه من مبدأ العقد إلى نهايته . لقد كانت نسبة الامية بين الكبار سنة ١٩٦٠ (٧ر٨١٪) فانخفضت سنة ١٩٧٠ إلى (٧٣٪) فقط ، وفي المقابل ارتفع عدد الاميين بين التاريخين من ٤٣ مليونا إلى ٥٠ مليونا من الذكور والاناث» . (٥)

وان هذه الصورة تتفق مع ماتؤكده الوثيقة التي اعدها الجهاز الاقليمي العربي لمحو الامية للمؤتمر الاقليمي الثاني لمحو الامية في الاقطار العربية سنة١٩٧١ ، وقد برزت هذه الوثيقة الجهود المتواضعة التي بذلتها هذه الاقطار ، ومعدلات التحسين التي قطعتها في الشوط الزمني المحصور بين سنة ١٩٦٦ و ١٩٧١ :

« .. لو سرنا بهذا المعدل ، فلا ينتظر ان نمحو الامية قبل ٤٢ سنة ، هذا ان افترضنا ان عدد الاميين ثابت ، وهو افتراض غير سليم لاننا نعلم مقدما ان هناك زيادة في عدد السكان يصل معدلها السنوي في البلادالعربية إلى وسيط مقداره(٢,٦٪ وان نسبة الاستيعاب في التعليم الابتدائي مازالت قاصرة عن استيعاب كل

الملزمين ، وان عددا غير قليل من يتخرجون في المدرسة الابتدائية او فصول محو الامية يرتدون ثانية إلى الامية : » (٦).

وفي ضوء هذه الصورة نجد انفسنا امام وضع لانحسد عليه ولانرضى باستمراره. اذ ان المشكلة وصلت إلى حد ان الامة العربية بدأت تعيش في ازمة دائمة مع الزمن ، تمثلت في ان التناقضات التي افرزتها «الامية» وصلت إلى حدود غير معقولة وغير مقبولة لامنطقياً ولااخلاقياً ، وغير قابلة للمعالجات الاصلاحية الجزئية .(٧)

ونرى ان التفكير الاصلاحي التطوري للامية بالنسبة للامة العربية في هذه المرحلة هو الشذوذ المرضي والانحراف عن الطريق السوي ، فنحن بالنسبة إلى حاجتنا لانستطيع ان نكون الا انقلابيين نفكر تفكيرا انقلابياً ، لان في ذلك وحده محاولة لمداواة المرض وايقافه عند حده (٨) . ونعني بهذا ان على الانسان العربي الامي ان يتمرد على واقعه (حالة الامية)،وفي هذا التمرد يؤشر الاستعداد الدائم لرسم الصورة الجديدة للامة (نفي الامية)، لان الانسان العربي يمثل الصورة المصغرة للامة العربية . وان القيادة السياسية في القطر العراقي قد حققت ، وطبقت بالفعل هذا الحل الانقلابي للمأزق الحضارى (الامية) الذي تعانية جماهير الامة في هذا القطر.

وضع المشكلة قطريـــا : —

٤ — وان«الامية»مسار شاذ في حياة الامة ، يقف عائقاً في بناء مجتمع متقدم ثوري ، يستطيع ان يواجه العصر مشكلات ومتطلبات ،لذلك نرى أن«الامية» معوق في المسار النضالي للقطر العراقي ، ذلك النضال الذي انصب على تحرير الامة العربية ، ونشدانه بناء الدولة العربية ذات المضامين الاشتراكية الموحدة.

ومن اللازم ان نشير إلى أن للقطر العراقي جهوداً في محو الامية منذ عقود ، ومع ذلك نرى أن التركة التي تسلمتها ثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ ، كانت تركة مثقلة بالامية ، فقد اشار تعداد سنة ١٩٦٥ :

«أن عدد الاميين في العراق بلغ ٣,٦١٢,٠٠٠ (سن عشرة فاكثر) من مجموع سكان (سن عشرة فاكثر) مقداره

٥,١٨١,٠٠٠ ذكوراً واناثاً . أى ماتقرب نسبته ٧٠٪ » . (٩)

لقد برزت هذه الاحصائيات حقيقة مهمة ، شخصت ابعادها المختلفة أمام القيادة السياسية في هذا القطر ، وادراكاً منها للانكسار الذي افرزته الامية في واقع القطر ، لذلك اولت القيادة السياسية هذه القضية اهتمامها ، فاصدرت سنة ١٩٧١ قانون محو الامية رقم (١٥٣) الذي ركز على :

« محو الامية بين الكبار ليكونوا مواطنين مستنيرين قادرين على الاسهام في تطوير مجتمعهم اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً» . (١٠)

ولتحقيق هذا المنظور فان القيادة السياسية ادركت العلاقة الجوهرية بين « الامية» وبين « الامراض» و«المعوقات » التي تقف في طريق تطوير القطر الذي تقع على عاتقه مهام قومية خطيرة ، يحتاج فيها إلى جهود وطاقات جميع المواطنين ، وبهدى افكار الحزب ومنهجه الانقلابي في معالجة مشكلات الامة خطت قيادة الحزب والثورة خطوة ثورية حددت فيها المسار الجديد للامة اتجاه اخطر مسألة تعانيها .. ونرى من المفيد ان نلخص هنا معالم هذا المسار أو ان شئت فقل المنعطف التاريخي :

أولاً : لقد برز التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ، مشكلة الامية كمرض متفشي بين المواطنين وبشكل خاص في الريف واعتبرها من :

«اكبر وأخطر معوقات التقدم السياسي والاجتماعي في البلاد ، ولا يمكن رفع مستوى الجماهير في هذه الميادين وبناء مجتمع متقدم وثوري قادر على مواجهة مشكلات العصر ومتطلباته المعقدة.. كما لايمكن لقطرنا أن يؤدي دوره الثوري الطليعي في تحرير الامة العربية وبناء دولتها الاشتراكية الموحدة مع بقاء النسبة العالية من الامية بين صفوف شعبنا » . (١١)

ثانياً : وادرك التقرير السياسي بالتفاتة ذكية للمنهج الانقلابي الذي يحدد المسار الحضاري الصحيح لجماهير الامة في هذا القطـــر :

«وعلى أي حال فان تجارب الشعوب قد أكدت حقيقة ملموسة وهي ان الاساليب الكلاسيكية في محو الامية لايمكن أن تحل هذه المسألة حلاً جذرياً ولا بد من القيام بحملة وطنية شاملة يقودها الحزب وتشترك فيها المنظمات الشعبية الكبرى ومؤسسات الدولة المختصة للقضاء على الامية قضاء مبرماً وخلال برنامج زمني محدد » . (١٢)

الامية مأزق سياسي : —

٥ — وان «الامية» مرض وانكسار سياسي ساعدت على نشره بين الجماهير، قوى استعمارية وطبقات رجعية مرتبطة مصيرياً بها ، وان هذه القوى وتلك الطبقات قد امتلكت الاسلحة واختارت خنادق ذات اوجه حضارية معقدة ، مارست بحكم مواقعها ، وعن طريق استعانتها بالاسلحة «الابعاد السياسية» التي توفرت لديها ، التأثير على الجماهير ، والتخريب في ساحة القطر عن طريق ترسيخ الامية وتثبيت العوامل التي تساعد على شيوعها .

وأن جماهير الامة نتيجة للجهل المخيم عليها ، وظروف العمل الاقطاعي آنذاك ، والتي جعلت من الانسان «آلـة» تلهث طوال ساعات اليوم ، فتجمد وعيه وتسمر ، فتحول إلى شيء من أشياء الاقطاعي ، وانه جزء لاينفصل عنه ، وهذا التصور قد أكده النظام الاقطاعي مؤسسات وافرادا ونشد ترسيخه في سلوك حياتي ، ومن هنا يأتي ادراكنا لابعاد الامية الخطيرة التي تتمثل كظاهرة «تشكل خصوصية لامجال للتقليل من هولها ، باعتبارها المظهر الابرز تعبيراً عن الانحراف عن الجوهر الانساني الحضاري ، وعن الهبوط به إلى مستوى — الشيئية والكم المهمل » (١٣)

ونرى أن السبب الذي جعل القوى الاستعمارية والطبقات الرجعية المحلية أن تركز وترسخ الامية والتخلف يعود إلى أبعاد سياسية واقتصادية تنحصر في أهمية الوطن العربي من حيث الموقع والاهمية الاقتصادية التي يعلقها الاستعمار وشركاته الاحتكارية في نهب ثروات الوطن العربي وجعله «منجماً»

للمواد الخام«وسوقاً» لتصريف البضائع المصنعة في بلاد المستعمرين . (١٤)

ومن هنا جاء «محو» الامية من قبل جماهير الامة العربية ، التي كانت تحت وطأة الاستعمار حلا «سياسياً» تقوض القيود أو أن شئت فقل تقوض الابعاد السياسية التي طرحتها القوى الاستعمارية وادراكاً من الجماهير العربية لهذه الابعاد طرحت منظوراً سياسياً لمعالجتها :

« .. الامر يتطلب دائماً أن يوقت القرار السياسي وأن تؤخذ بنظر الاعتبار مسألتان اساسيتان في توقيتـــه :

المسألة الاولى ان يحدد موقع واتجاهات التغيير الاجتماعي المطلوب لعملية محو الامية ، ضمن مجمل سياق المتغيرات المطلوبة ، على الاصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لمجمل العملية الثورية في القطر .

المسألة الثانية أن يؤشر القرار ، بوضوح ، اهداف التغييرات الاجتماعية المطلوبة ، قطاعياً أو ميدانياً ، على اساس ربطها بالهدف أو الاهداف الستراتيجية المطلوب بلوغها من مجمل العملية الثورية الدائرة في هذا القطر » . (١٥)

وبالاضافة إلى ذلك فان الاستعمار ركز احتلاله للاقطار العربية على اسس سياسية اصطلح عليها «بالفراغ السياسي» معتمداً على جملة من«القناعات»الفكرية، التي شاء لها أن تنتشر وتثبت في بعض الاذهان لسيادة الامية ، وأن تقرر تلك القناعات المظللة أن الاحتلال مثل ملأً لهذا الفراغ الذي تعانيه الاقطار ، وجاء هذا نتيجة لجهل جماهير الامة لابعاد ستراتيجية الفراغ الاستعمارية ،(١٦) ولاستخدامه منطقاً تسويفياً خداعاً ، واتكائه على أنماط فكرية واعلامية ذكية في تحرير تلك الاستراتيجية . بينما كانت الامة تعيش في دياجير الجهل فالجهل أو أن استطعت فقل «الامية» هي الانكسار السياسي الحضاري الذي افرز العجز والقصور في «وعي» الامة ،الذي يفترض فيه أن يرتقي إلى مستوى الانماط والاساليب الاستعمارية ، وبالتالي في حدود ذلك الفرض يعبر عن

د الامة على «محنتها» :

«ان مهمة التربية في .. وطننا العربي مهمة استثنائية لابد أن توجه لها كل الجهود والامكانيات لتمارس دورها التاريخي الحاسم ، فهي مطالبة أن تعيد بناء الانسان العربي الجديد في هذا العالم المتفجر والمتغير فكراً وسياسة وثقافة وحضارة ، ليكون قادراً على البقاء والبناء والتحدي والمساهمة في بناء حضارة الغد وتصحيح مسارها . » (١٧)

٦ — وان القوى الاستعمارية قد اشرت ورسمت جملة من المخططات الرامية إلى تثبيت حالة مضادة لعوامل النهضة في حياة الامة ، عن طريق ترك اعداد كبيرة من جماهير الامة العربية اسيرة في معقل الامية ، وتشويه ثقافة المتعلمين ، وتنشئة اجيال لاتتحسس بالمسؤولية التاريخية ، ولاتملك القدرة على النظر إلى واقعها القومي نظرة نقدية ، لانها أتخمت بثقافة غريبة مسلوبة الصلة بالعوامل الموضوعية للنهضة العربية ومعاكسة لاتجاهها . (١٨)

واستنادا إلى ماسبق نرى ان الاهتمام بمكافحة الامية في الاقطار العربية جاء نتيجة لعاملين اساسين :

الأول : نمو الحركات الوطنية والاستقلالية ، فقد قارنت المجتمعات العربية بين جهلها وتخلفها واستعبادها ، وبين علم وحضارة وتفوق الدول التي استعمرتها.

الثاني : ونظرت المجتمعات العربية إلى التعليم على انه احدى وسائل تحقيق الاستقلال والمحافظة عليه . لذلك ارتبطت الحركات الوطنية بحركات شعبية لنشر التعليم ومحو الامية (١٩).

غير ان الصورة بعد استقلال الاقطار العربية اصبحت بشكل مختلف ، ففي القطر العراقي.تنتشر وتسود ثورة تنمية انفجارية لذلك نرى من الضروري ان تركز القيادة السياسية في هذا القطر على خلق وعي سياسي يشد الانسان في هذا القطر إلى تربة الوطن ، جاهدة على ان يحل هذا الوعي ويشغل مواقع القناعات الفكرية التي تبرر الظاهرة الاستعمارية ، وهذا يستدعي اعادة بناء للفكر

السياسي للمواطن ، وعملية البناء هذه لايمكن ان تتم من دون ايجاد انسان متعلم يعي ما يتطلبه الوطن منه ، وما تقتضيه المرحلة التاريخية الراهنة .. وعلى هذا الاساس يأتي «محو» الامية حلا سياسيا للانكسار الذي افرزته الامية في الواقع :

« انفشل المحاولات السابقة لمحو الامية يرجع بصورة رئيسية وجوهرية إلى عدم استيعاب الابعاد السياسية لظاهرة الامية في مجتمع مجزأ متخلف مستعمر مستغل كالمجتمع العربي في هذه المرحلة التاريخية من حياة الامة العربية » (٢٠) .

٧ — ولقد افرز التقدم التكنولوجي لعالمنا المعاصر ، وسائل في غاية التعقيد على مختلف الاصعدة مارست تاثيرا بارزا على المواطن ، فانها ساعدت على تجسيد ونشر مواقف سياسية على الصعيدين الداخلي والخارجي . وذلك عن طريق ماهو مكتوب او ماهو مسموع من اجهزة الاعلام المختلفة واذا عجز المواطن عن تلقي هذه المواقف فانه سيكون عرضة لممارسات خاطئة قد تقوده إلى تصورات ومواقف سلبية تنعكس اضرارها على المجتمع باسره. لذلك فان القراءة بالذات تزيد من امكانات المواطنين في التحليل والفهم واتخاذ المواقف المنسجمة مع طموحات الشعب والامة .

وان ممارسة الاساليب الديمقراطية وبخاصة ممارسات الديمقراطية الشعبية تقتضي اتساعا في الادراك والمعلومات داخليا وخارجيا وهذا لايمكن ان يتم الا لدى الشعوب الواعية المدركة المتعلمة ، فحركة الثورة هي حركة تفاعل بين الجماهير والقيادة السياسية ولايمكن ان يتم هذا التفاعل حينما تتسع الهوة بين مدركات القيادة ومدركات الجماهير ، ولعل المادة المكتوبة من اهم وسائل الاتصال بين القيادة وجماهيرها ، ومن هنا تتضح لنا اهمية محو الامية بين الجماهير وتحقيق نوع من التعليم المستمر المتكامل لها . (٢١)

وعلى اساس هذا الفهم نرى ان ثورة حزب البعث العربي الاشتراكي ، ادراكا منها للدور المتعاظم للجماهير العربية في الثورة العربية والجماهير العاملة الكادحة في التحولات الثورية التي يشهدها القطر العراقي في جميع القطاعات ، وللتناقض الذي تخلقه ظاهرة الامية بين طبقات هذه الجماهير وبين ظروفها واستيعاباً منها

لابعاد هذه الظاهرة ولوسائل القضاء عليها من اجل ان تستكمل جماهير هذا القطر بين ايديها اسلحة القتال من اجل الاشتراكية والوحدة والتحرير .. قد ربطت الحملة الوطنية الشاملة لمكافحة الامية بالغايات العلمية والنضالية لثورة السابع عشر من تموز بحيث تكتسب جوهرها التاريخي وتؤشر مرحلة جديدة ، في التصدى لهذا التناقض الاساسي في حياتنا القومية . (٢٢) .

الامية مأزق فكري :ـ

٨ ـ وان محو الامية مسار فكرى ينشد اجتثاث الجذور الفكرية الغريبة عن «روح»الامة وسحب البساط من تحت اقدام الدوائر الفكرية الاستعمارية والرجعية ذلك البساط الذي تمثل بسيادة وشيوع جملة من الثقافات التي ترسخ التجزئة والتخلف والاستغلال وتثبيت الظاهرة الاستعمارية كامر واقع يجب قبوله . او ثقافات غريبة هجينة تبغي التغريب الفكرى للانسان العربي : استهدفت تثبيت «الامية» انكسارا ثقافياً في حياة الامة العربية..وبذلك نرى ان محوها موقف ينشد ترسيخ ثقافة عربية الهوية اشتراكية وثورية المنحى ، لتشغل وتحل المواقع التي شغلتها تلك الثقافات في الدوائر الفكرية والثقافية ، التي شاء لها ان تقوم في الواقع العربي :

« فالثقافة تعكس رواسب المرحلة الاقطاعية والمرحلة البرجوازية والثقافة المجردة المشبوهة هي بدورها انواع اخرى من الامية عرفها المجتمع العربي خلال المرحلة الاستعمارية التي كانت تتعدى احتلال الارض إلى خلق نفسية الانسان المستعمر، وخلق عقلية التجزئة والشخصية المبتورة عن تاريخها وتراثها المعدومة الحس الوطني والقومي ، المتعالية على الجماهير». (٢٣)

ويعود شيوع الثقافات السابقة التي تتسم اما انها « لاقومية » او كونها «لااشتراكية» منغلقة، إلى ان الواقع العربي كان غافياً في حالة نوم عميق خلقت اجواءها القوى الاستعمارية والرجعية وسبب ذلك يرجع إلى ان النسبة القليلة المتعلمة كان جلهـــا مرتبطـا بالنظام الرجعي بشكل او بآخر لذلك شجعت

هذ الفئة على شيوع وسيادة الثقافات الغريبة ، او المنغلقة التي لاتعبر عن السياق التاريخي للامة العربية . لذلك نرى ان هذه الثقافات مارست دورا تخريبياً في عقلية الجماهير نتيجة لعجز الجماهير وقصورهم الفكرى في التصدي لها :

« فالثقافة البرجوازية في المرحلة السابقة بحكم كونها حصيلة لتطور تاريخي كانت تبرر ظاهرة الاستعمار والتعصب والانغلاق على الماضي والاكتفاء بالذات والعزلة والانغلاق كما كانت تقبل الفكرة القائلة بأن الحرب ظاهرة متأصلة في الطبيعة».(٢٤).

والمسألة الاخرى التي نراها ان القوى الاستعمارية والدوائر الفكرية الرجعية جاهدت من اجل ان تقرر سلوكا حياتيا في الواقع ،نشدت عن طريق ترسيخ المبدأ القائل ان العلم والثقافة للصفوة المختارة . وبذلك ساد وشاع المفهوم الارستقراطي للثقافة ، وبات طلب المعرفة لذاتها او لمجرد ارضاء حب الاطلاع عند الفرد .. وان شاء ان يسود هذا المفهوم باتكائه على امية الجماهير والمحن التي تعيشها فانه اصبح وتكشف عجزه عن مواكبه التطور الذي طرأ على حياة الجماهير :

«.. فتكوين النخبة لم يعد وحده هدفا للثقافة والثقافة لم تعد تفهم على انها معرفة نظرية مجردة تقصد لذاتها بعيدا عن حاجة المجتمع .. وقد تكشف هذا الخلل بعد مرحلة الاستقلال والسيادة الوطنية .. فقد نشدت المرحلة الجديدة خلق اوضاع جديدة ، ورأت ان عملية الخلق هذه لايمكن ان تتم دون تبديل في في الافكار ، اذ ان المعرفة والعلم والثقافة لم تعد امور منفصلة عن الاطار السياسي والاجتماعي .. » (٢٥) .

اضافة إلى كل ماسبق فان الدوا ئر الفكرية الاستعمارية ساعدت على ترسيخ «الامية» من اجل شيوع «امراض»جديدة تتمثل بنشر افكار طائفية وعدائية تتسم بالتعصب والتسلط ، والنبذ لفئات اخرى من جماهير الامة ، ونشدت من هذا تعميق «التمزق » وفتح «شروخ» موغلة في العمق في حياة الشعب والامة .. وبرز ذلك بحكم سيادة الامية ، ان تمارس الجماهير سلوكا مريضا شاذا في الحياة:

«.. مازال يتحكم الاجنبي — في المجتمع العربي — تارة بصراحة كما في بعض اجزاء ارضنا وتارة بصورة مستورة من وراء الطبقات النفعية

المتاخرةعلى حياة شعبنا ، وما دام مجتمعنا مسيرا لمصلحة الاستعمار والطبقات المستثمرة ، فمن العبث ان ننتظر منها لرسالة الشباب ورسالة الثقافة نفعا يصدر عن مؤسسات المجتمع الرسمية وعن المدارس بصورة خاصة . فهذا المجتمع الذي يسيطر على تنشئة اجيالنا يزيف رسالة الشباب ورسالة الثقافة ويحاول ان يجعل من الشباب شيوخاً وهم في ميعة الصبا ويحاول ان يجعل من الثقافة اداة خمول بدل ان تكون اداة ثورية لتعيد الينا الحياة العربية السليمة .. » (٢٦)

٩ — وتأتي أهمية الجانب الفكري في تعزيز الاستقلال السياسي ، عن طريق اسقاط القناعات الفكرية بالنظام الاستعماري والكيانات المرتبطة به ، وتوفير قناعات فكرية جديدة ، تحل وتشغل في عقليات الجماهير المواقع التي شغلتها القناعات السابقة .. وبالتالي تجعل من الجماهير أن تلتحم وتلتصق بالمبادئ الفكرية للقيادة السياسية ، لان القناعات الجديدة جعلت من الجماهير أن تعي بشكل واضح بأن مبادئ القيادة هي طموحاتها وامالها واهدافها .. ومن هنا نرى أن القطر الذي تكون ساحته مكشوفة ، فانه يصبح واقعاً تحت تأثيرات فكرية وثقافية اجنبية وأن هذه التأثيرات بالتالي تشكل قيداً على الارادة الوطنية وعلى خط سيره باتجاه تحقيق مبادئه وأهدافه الوطنية .. لذلك شخصت قيادة الحزب والثورة في القطر العراقي ، في البداية هذه الامراض وعللها في الواقع الثقافي والفكري في القطر ، فوجدت أن :

«.. الاجهزة الثقافية والانشطة الثقافية والاعلامية التي ورثتها الثورة..متخلفة من الناحيتين التقنية والايديولوجية، تسودها التيارات الرجعية والبيروقراطية اليمينية والليبرالية ، وتسيطر عليها الفئات الرجعية واليمينية والانتهازية والمتخلفة ، كما كانت أجهزة التعليم بشتى مستوياتهـا متخلفة وتسود فيهـــا الفوضى وتهيمن عليهـــا الايديولوجيات والمناهج اليمينية المتخلفة ويعشعش فيها ويتحكم بها الرجعيون واليمينيون والانتهازيون » . (٢٧)

ومن اللازم أن نشير في هذا المجال إلى أن الحزب أولى منذ بداية تأسيسه أهمية قصوى لهذا الجانب ، ودعـــا إلى تثقيف الجماهير عامـــة والشباب بصـورة خاصة بالثقافة القوميـــة والاشتراكية والديمقراطيـــة وتحصينهم فكرياً ضد النظريات والتيارات الفكرية والثقافية الاجنبية التي لاتتلائم مع أهدافنا القومية والانسانية مع الحرص على تجنب الانغلاق والعصبية اتجاه الافكار والثقافات الانسانية التي تخدم قضايانا في التحرر والبناء الاشتراكي(٢٨).

وعلى اساس هذا الطرح تحدد «الحل» او «الخروج» من «المأزق» الفكري للامية ، بتحديد هوية الثقافة العربية الثورية تلك الثقافة التي تبرز فكرتين أساسيتيـــن :

الاولـــى : فكرة الديمومة — والاصالة على أساس الربط بين التاريخ القومي والمشكلات الراهنة .

الثانيـــة : فكرة الصيرورة — والانفتاح ، من جهة التأكيد على البعد الحضاري للحركة الثورية العربية المعاصرة . (٢٩)

ويعني هذا في جملة مايعنيه ، ان جوهر الثقافة العربية ، ومحورها المركزي هو الربط بين ماضي الامة العربية وحاضرها ، من اجل حرص الحركة الثورية على وحدة الشخصية العربية وعلى استقلاليتها ، وهي من جهة اخرى تؤكد ضرورة الثورة على الواقع الذي يتمثل في الحاضر من اجل الاخذ بعين الاعتبار المستقبل كبعد زماني تاريخي ينطوي على الاستعداد الدائم في التجربة العربية للانفتاح على التجارب الثورية العالمية الاخرى . (٣)

نخلص من هذا إلى تقرير حقيقة مهمة ، تتحدد في ان «الامية» برزت الافكار والثقافات الغريبة عن واقع الامة ، تلك الثقافات التي نشدت تغريب هوية الانسان العربي ، وسيادة وانتشار الافكار الطائفية ، التي تعزز «تمزق» المجتمع وتؤمن هيمنة القوى الاستعمارية على الامة ، وعلى اساس هذا الفهم فان «الامية» انكسار و « شرخ » فكري وان « محوها » وما يرتبط بهذا « المحو » من ترسيخ الابعاد الفكرية للثقافة العربية الثورية ، يمثل «علاجا» لهذا الشرخ و « حلا» فكريا لهذا الانكسار .

الامية مأزق اقتصادي : —

١٠ — وان سيادة «الامية» في المجتمع ، تعني في جملة ماتعنيه تخريباً اقتصاديا ، افرزه الجهل المطبق على القوى الانتاجية ، برز على شكل انكسار في الاقتصاد القومي ، ونتيجة لعدم استيعاب «الزمن» كبعد اساس في عملية البناء والتبذير المسرف غير المسؤول في المواد الاولية ، وعدم المحافظة على وسائل الانتاج (مكائن ، بنايات اثاث) ، والاستمرار في ادامتها من اجل توفير عملات جديدة للقطر ، اضافة إلى ان الجهل يؤشر في العملية الانتاجية برمتها ، انخفاضا يتمثل على هيئة «شرخ» انتاجي لايمكن تجاهله ، كل هذه الامور مجتمعة تقف بالتالي عائقاً في التسريع في «معالجة» (قلب) الواقع المريض ، الذي تتحرك فيه القوى الانتاجية بشكل عشوائي ، والنهوض به من تلك الحالة المرضية إلى وضع سليم معافي ينفيها .

وعلى هذا الاساس نرى ان «الامية» بقدر ماتكون مأزقاً اقتصاديا في حياة الامية ، فان « محوها » وخلق وترسيخ ثقافة علمية ثورية لدى القوى الانتاجية ، يعني الحل «والخروج» من هذا المأزق الحضاري :

« فنجاح التنمية في اى مجتمع لايمكن ان يتحقق الا على اساس الاعتماد على الجماهير الواسعة الواعية من ابناء الشعب ولن يستطيع هذا القطاع ان يسهم بدور رائد اذا تأخرت عملية تعليمه وتوعيته ليكون قادرا على القيام بدوره في معركة التغيير والبناء ومن هنا تبرز قضية محو الامية .. وخطورتها ومردوداتها التاريخية على صعيد الحاضر والمستقبل » (٣١) .

وان جهل الجماهير ونقصان الكادر العلمي والفني ، قد خلق «شرخاً» في البنية الاقتصادية للامة العربية من حيث ان هذا «الشرخ» قد مكن القوى الاستعمارية ان تعبث في الاقتصاد القومي وفي أسوأ الاحوال ان تمرر مشاريعها الاستغلالية التي تخرب فيه من جهة وان تعتمد الاقطار العربية بشكل خاص ، ودول العالم الثالث بشكل عام على الدول المتقدمة ، وان ترضخ لمشيئات الاحتكارات ، نتيجة للنقص في الخبرة والكادر :

« من الاشكال الخطيرة التي اتخذها الاستعمار الاقتصادي السيطرة على الثروات الاساسية للشعوب كالنفط ، والتي

كان استثمارها يتطلب امكانات مادية وتقنية وأدارية عالية .. لم تكن تمتلكها الشعوب المتخلفة والضعيفة ، مما جعل الدول الاستعمارية تستغل هذه الناحية استغلالا بشعاً فتفرض سيطرتها ومشيئتها عليها بشروط مجحفة جداً .. » (٣٢) .

ومن هنا يأتي «محو»الامية حلا حضارياً للامة ، من حيث ان ذلك يتمثل في تعليم الكوادر وخلق الاوساط الفنية التي يقف عليها التقدم والازدهار الاقتصادي لان «التعليم» يعني تقويض الادوات والاساليب الاستعمارية، التي استغل بها الامة نتيجة لما تعانيه من نقص الكوادر ،وعجز القسم الآخر عن المشاركة في عملية البناء، نتيجة«لرسوخ»الامية الابجدية والوظيفية في المجتمع . اضافة الى هذا فان الاستعمار انتفع من تثبيت «الامية» وسيادتها في صفوف الجماهير ، من اجل التخريب في اقتصادها ، وتمثل ذلك في انه استطاع ان يستغل هذه الحالة المرضية ، ويوظفها لصالحه ، فقام بعملية تعويق لخطط التنمية في هذه الاقطار ،عن طريق توجيهها توجيهاً معاكساً ،او عن طريق سياسة الاقتراض ، التي يصورها للجماهير بشكل مزيف ،انه «حل» يقدمه هدية لها ، في حين انه يستهدف «رهن» الاقتصاد الوطني وربطه بعجلة الاقتصاد الاستعماري وان اي زيادة «رقمية» في الاقتصاد الوطني تذهب عن طريق « الاقنية » التي اقامها في هذه الاقطار ، الى الدول الاستعمارية ، كل هذا يحدث نتيجة «لجهل» وقصور«وعي» الجماهير للمسار المعاكس للتنمية، ومرد ذلك يعود الى تفشي«الامية»بين الشعوب وجماهير الامة العربية بنسبة عالية :

«ومن اشكال الاستعمار الاقتصادي الخطرة ايضاً السعي بكل الوسائل لتعويق التنمية..او توجيهها خاطئاً ومنحرفاً .. وتلعب سياسة الاقراض في هذا الميدان دوراً خطراً جداً ..التي توظف (القروض) في مشاريع تافهة وغير انتاجية ، الامر الذي يغرى تلك البلدان ويوهمها بانها انما تحسن اوضاعها الاقتصادية .. وبعد سنوات ..تجد اقتصادها مرهوناً للدول الاستعمارية

المقرضة فتفقد ارادتها الوطنية الحرة ..»(٣٣).

١١ – وتعني معظم الاقطار التي استقلت حديثاً عناية فائقة بالتنمية الاقتصادية ببعديها الصناعي والزراعي على حد سواء ، قصد زيادة الانتاج وتحسينه من ناحية ورفع كل انقاض التعويق والتخلف لتحديد المسار الجديد لحركة الواقع وبالتالي الحاق بركب الحضارة من ناحية اخرى :

« من المعلوم ان زيادة الانتاج سوف تؤدي الى رفع مستوى دخل الفرد ، والدخل القومي على حد سواء ، وان زيادة الدخل في بلد ما معناه انخفاض مستوى الامية في ذلك البلد وكذلك فان انخفاض مستوى الدخل في بلد ما يصاحبه ارتفاع نسبة الامية في ذلك البلد فقد ثبت من دراسات الخبراء ان هناك علاقة وثيقة بين الامية وبين التخلف الاقتصادي »(٣٤).

وعلى هذا الاساس نرى ان زيادة الانتاج هذه تتوقف على وجود قوى عاملة متدربة تستطيع ان تقف امام الآلة ، وتفي بمتطلبات الانتاج المتزايدة وتواكب التطورات التكنولوجية السريعة في عصرنا الحاضر ، ورب احد يتساءل : اذا كان التعليم عنصراً اساساً من عناصر التنمية الاقتصادية فما الذي يقوم به التعليم على وجه الدقة لكي يساعد في تحقيق التنمية ؟ والجواب على هذا يتحدد في ان عمل التعليم ينصب على العنصر البشري ، وهو بصفة عامة يهدف الى تنمية الانسان تنمية شاملة متكاملة ، واعداده للحياة في المجتمع والى تدريب القوى العاملة في الانتاج الاجتماعي بهذه الطريقة يسهم التعليم بشكل مباشر في الانتاج ، ويؤشر في كافة عناصر الانتاج الاخرى . (٣٥).

ويبرز لنا من خلال تفحص تجارب البلدان المتقدمة صناعياً وزراعياً ، ان العامل الامي ليست لديه القدرة على تحسين انتاجه الا في حدود ضيقة ، في حين نجد العامل المتعلم قادر على زيادة الانتاج في ابعاد لاتقف عند حد .. ومن هنا نرى ان حركة التنمية الاقتصادية ادركت خطورة الامية فجاءت :

« تبعث في حملات مكافحة الامية روحاً جديدة
فالصناعة والزراعة الحديثة واجهزة الادارة والخدمات
بحاجة كلها إلى القوى المدربة المتعلمة غير المتوفرة
مما دعا الحكومات إلى القيام بمبادرات للقضاء
على الامية » .(٣٦)

ونري من الضرورى ان نشير إلى ان الصناعة والزراعة التي نخطط لها اليوم ليس فيها مكان للامي فقد بات ثابتاً بان الزراعة القديمة التي تقوم على الممارسة والتخطيط القديمين ، لم تعد تكفي لسد حاجة السكان ، ولذلك فمن اللازم من سيادة اساليب حديثة ، وسيادة هذه الاساليب تعتمد على الفلاح الذى يستطيع ان يقرأ او يكتب ويحسب . من حيث ان القراءة والكتابة وسائل ضرورية في الحصول على المعلومات الزراعية التي تلعب دورا مهماً في هذا الجانب من جهة متابعة التغيرات التي تطر عليها وفي الحصول على البذور والمحاصيل وتسويقها .

وحال الصناعة حال الزراعة ، فمن الضروري ان تتوفر لدى العامل قدرات معينة يستطيع تطويرها لكي يشق طريقه وسط المصنع الهائل بما فيه من تعليمات وجداول وخرائط . واذا افترضنا ان العامل امي فانه لايستطيع أن يتحرك بشكل دقيق ، اضافة إلى انه ليس في امكانه ان يطور قدراته ليواكب التعقيد الذى يسود في الصناعة . (٣٧)

١٢ — وان «الامية» بالاضافة إلى ما سبق ، افرزت « مرضاً» استهلاكياً في بعده الاقتصادي ، وان الدوائر الاستعمارية قد وظفت هذا المرض لصالحها ورسخته سلوكاً لدى المواطن بحيث يقف موقفاً مضادا للبضائع الوطنية ، باحثاً ومفتشاً عن البضائع الاجنبية محملا نفسه مسؤولية الاعلان عنها ، والترويج لها :

«..فالدول الاستعمارية المتقدمة تسعى بكل الوسائل
إلى اغراق البلدان حديثة الاستقلال بشتى
اصناف البضائع الاستهلاكية .. فيندفع المواطنون
إلى شرائها والتعود عليها فتنشأ .. حالة نفسية

خطرة تجعل المواطنين ، الذين اعتادوا على
البضائع الاجنبية يقفون سلوكياً ضد الصناعة
الوطنية ..» (٣٨).

وعلى هذا الاساس فان « الانكسار » الاقتصادي الذي افرزته الامية لايقف عند حد انتاجية الفرد .بل يتعدى ذلك ليشمل استهلاكية الفرد وما يغلفها او يتكشف عنها من «امراض»سلوكية واقتصادية،تقع اثارها على الدخل القومي:

« ...عادة ما تقتصر الدراسة على اثر التعليم في زيادة
الانتاجية . والواجب ان تجرى الدراسات ايضاً على
اثره على الاستهلاك .فغير الامي يصبح مستهلكاً من
نوع يختلف عن الامي . ذلك ان تغيير الاتجاهات
والاجر واسلوب المعيشة ،يؤدى إلى نتائج قد تكون
مفيدة او غير مفيدة للاقتصاد القومي والتنمية .. هذا
عامل آخر يفرض الربط بين محو الامية وخطة التنمية » (٣٩).

الامية مأزق اجتماعي :ـ

١٣ ـ وان « الامية» في ابعادها الاخرى « مرض» اجتماعي ، من جهة ان القوى الاستعمارية وظفت « الامية» قناة رسخت فيها استلاب الفرد ، وشيوع الانانية. واستبعاد نصف المجتمع «المرأة » عن الاسهام في عملية البناء ، اضافة إلى تركيز القصور الفكرى للمواطن ، مما جعله بعيدا عن ادراك اهمية ، ودور مؤسسات ومرافق الدولة الخدمية في ما تقدمه له من خدمات في درء المرض والاخطار .. ويعني هذا ان جهل المواطن في استخدام هذه المؤسسات والافادة منها الافادة الصحيحة،تبذير في هذه المؤسسات مادة وجهودا،ومن هنا يبرز«محو» الامية «نفياً » وحالة نقيضة للامية و« خروجا» من هذا «المأزق » الاجتماعي.

« ان عملية محو الامية تتضمن عمليتين : عملية
الامي ذاته ثم عملية المجتمع ايضاً الذى يعيش

فيه الامي والذى يعاني من تخلف يشكل بيئة
حياتية صالحة للامي » (٤٠) .

وان التعليم يلعب دورا اساسياً في بناء الانسان من جوانب متعددة من جهة انه فرد وشخصية متميزة . ومن جهة هو عضو في مجتمع ما ، ومن جهة ثالثة باعتباره عاملا يشترك في عملية الانتاج الاجتماعي ،ومن اللازم ان نشير إلى بناء الشخصية والاعداد للمواطنة في المجتمع ، كانا الهدفان التقليديان للتعليم سابقاً ، وقد ظهر لاحقاً هدفاً آخر ينحصر في الاعداد لممارسة عمل ما ، والاسهام في عملية البناء الاقتصادي

ونرى ان التعليم كان سابقاً يقترن بعدم العمل باعتباره امتياز للطبقات القادرة الغنية غير العاملة اما الطبقات العاملة فكانت تتعلم الحرف التي تعمل بها عن طريق الممارسة .. ولاحقاً ادركت الطبقات العاملة خطورة هذا الفصل بين العلم والعمل فبدأت تكافح للحصول على حق التعليم ، وحتى ان هذا التعليم كان برجوازي الهوية وبالتالي لايناسب اهداف الجماهير وطموحاتها (٤١) .

١٤ــ ومن المردودات السلبية للامية انها فتحت «شرخاً» اجتماعياً في الواقع ،تمثل في عدم الافادة من المؤسسات التي تقيمها الدولة لتطويق الاخطار التي تهدد الانسان ومثال ذلك المستشفيات والمدارس، ومراكز الرعاية والخدمة الاجتماعية التي نشدت فيها القيادة وتوسمت نقل وضع الانسان في هذا القطر من حال مريض إلى حال سليم معافى، ويعود سبب عدم الافادة من هذه المؤسسات إلى تفشي الجهل في صفوف الجماهير، وبمعنى آخر ان عدم الافادة بشكل تام من هذه المؤسسات يرجع إلى ان المتعلم اقدر على الانتفاع بهذه الخدمات والمحافظة عليها من الامي :

«.. ففي مجال الخدمات الصحية يلاحظ ان الشخص المتعلم اسرع من الامي في الذهاب إلى المستشفى والحصول على العلاج المناسب وعلى وقاية نفسه من الامراض. وفي ميدان التعليم نجد ان الشخص

المتعلم اكثر ميلاً إلى ارسال ابنه إلى المدرسة
من الشخص الامي» (٤٢).

ونرى استكمالاً للصورة التي نؤشرها، ان ابناء المتعلمين، بحكم بيئتهم التي يعيشون فيها اكثر توفيقاً واقل رسوباً وتسرباً في تعليمهم، من ابناء الاميين، التي تمثل بيئتهم معوقاً لتفجير طاقاتهم وتنظيمها وتوجيهها ومن هنا يأتي محو امية الكبار، من اجل خلق بيئة طبيعية جديدة للاجيال تمكنهم وتمكن اباءهم من تأشير الصورة المستقبلية لهم ولأمتهم.

وعلى اساس هذا الفهم يتحدد عائد محو الامية، من وجهة النظر الشاملة، وبالتالي لايقف وينحصر عند حدود راس المال، بل يتعدى ذلك إلى الانسان، باعتباره البعد الاساس الذي يمنح التنمية تطوراً ممكناً، يتحدد في نشدانه تقويض التقاليد التي تشده إلى التخلف.. ومن هنا نرى ان تطور الفرد يؤدي إلى تطور المجتمع الذي ينتمي اليه.. وان هذه المعادلة اذا لم تتجسد واقعياً، فأنها تؤدي إلى تغريب الفرد عن مجتمعه:

«وفي مجال التنمية الاجتماعية من الضروري ان يؤدي تطور الفرد الى تطور الجماعة.. واذا لم يتحقق هذا الشرط اصبح الفرد غريباً، وقد يضطر إلى ترك جماعته والهروب من وطنه..» (٤٣).

كما ان الامية افرزت في المجتمع، جملة من الانكسارات الاخلاقية، نتيجة لافتقار المواطن للوعي السياسي. والعجز الفكري الذي يعانيه، فجسد «سلوكاً»وتصرفات يومية، وعلاقات مع الاخرين.. فبرزت في ذلك السلوك، وارتسمت صورة «الانانية» وتغليب المصالح الذاتية واللهاث خلف العواطف والانفعالات واصدار احكام، وتقييم«مواقف» الاخرين وفقاً لما تقرره هذه الانفعالات التي تغلفها الابعاد والدوافع الذاتية .. ومن هنا جاء «محو» الامية ليقرر، ويساعد على شيوع اخلاقية « نموذجية» للمواطن . تمثل مثالا تقتد به الجماهير ، نتيجة لسيادة

«الوعي» السياسي و «النضوج» الفكري ، الذي يشترط ان يتوفر لدى المواطن ، والذي ينعكس في «سلوك» المواطن ، وتصرفاته اليومية وعلاقته مع الاخرين (٤٤).

١٥ — كما وان «الامية» رسخت «مرضاً» في المجتمع ، تمثل في تثبيت وسيادة افكار سوداوية عن المرأة ، تحددت في النظر إلى المرأة نظرة «دونية» يقصد بها تعطيل نصف المجتمع عن المساهمة في عملية البناء والتغيير ... وامة مثل الامة العربية تدخل في صراع مع الزمن ، ونصفها معطل أمه لاتستطيع ان تدير الصراع باقتدار ، وتحسم النتيجة لصالحها ، ومن هنا جاء تأشير «القيادة» السياسية في القطر العراقي لهذا «المعوق» فحددت «المسار» الجديدة للامة ، في تجاوزها له ، فجاء تعليم المرأة ومحواميتها مرتبطاً بالقيم الاجتماعية .

ومن بديهيات النضال في تجربة الامة العربية المعاصرة ، والتي تؤشرها الايديولوجية العربية الثورية ، تحديد الانتساب إلى الامة العربية ، وان انتساب الانسان العربي (المرأة) للامة يتحدد من خلال تمردها على الواقع (الذي تعج به الامية) الذي جمد طاقاتها وعطلها .. وان تمرد المرأة على ذاتها يحقق انتسابها للامة (٤٥) وان هذا الانتساب يتكشف في «محو» اميتها ، واسقاط الابعاد المرتبطة بها من تخلف وتجزئة واستغلال .. ويؤشر الصورة المستقبلية للامة.

«... ان تعليم المرأة له تأثير مضاعف او مزدوج ، اذ ان هذا التأثير يتجاوز شخصية المرأة وقدرتها على الاسهام في العمل والانفتاح إلى مجالات اخرى مثل تنظيم الاسرة وحسن تربية النشيء وخلق بيئة منزلية فضلى .

... ان الوضع الثقافي للمرأة العربية ودرجة الامية المتفشية بينها ، لهما اثار مدمرة لا على المرأة فحسب وانما كذلك وأهم من ذلك على ثقافة الامة واقتصادها وابنائها » (٤٦).

ومن هنا نرى ان يجرى «محو» امية المرأة ، ضمن

« محو » امية المجتمع برمته لان النضال الذى تخوضه الامة العربية ضد معسكر الامبريالية والصهيونية والرجعية .. وهو معسكر تحتشد فيه كل اساليب الدمار والعلم الحديثة ، يتطلب انساناً حرا وملتزماً ومتعلماً . واي عزل للمرأة او التقليل من مساهمتها الكاملة في المجتمع يحرم الوطن من نصف ابنائه . ومن نصف طاقاته الفكرية والانتاجية والكفاحية (٤٧) .

الخلاصة : —

١٦ — نشدت هذه الدراسة ابراز «محو الامية» بعدا حضارياً في تجربة الامة العربية المعاصرة ، وانتهت الى ان «الامية»«ومحوها» يتكشفان ان في نظرنا كمشكلة وحل ، والموقف الذي طرحناه في هذه الدراسة ينظر اليهما على ضوء وعائين عقليين ، اصطلح على تسميتهما ، بالثابت (باعتباره السمة العقلية العامة التي تفسر حال المجتمع)والمتغير (باعتباره الواقع الملموس المشخص للمجتمع) . وبذلك فان الدراسة توزعت في ناحيتين :

الناحية الاولى : كشفت عن ثابت «الامية» ومتغيره :

فالامية «مأزق سياسي وفكري ، اقتصادي وأجتماعي » والمتغير، او «الماصدق »الواقعي يتكشف في الفراغ السياسي للجماهير ، والقصور الفكري ، والخلل والتخريب الاقتصادي الذي يعج في المجتمع والانكسار في العلاقات وبناء الشخصية فيه .

انتهينا الى تقرير العلاقة الطردية بين الامية ومتغيرها، فكلما تعمق هذا الثابت ، ترسخت الامراض في واقع الامة بمختلف ابعادها التي تكشف« الماصدق »الواقعي له .

الناحية الثانية : — اشارت الى ثابت «العلم والمعرفة ومتغيره »

فالمعرفة «نفي للامية ونقيض لها » .

والمتغير يبرز الوعي السياسي المتقدم للجماهير ، والنضوج الفكري (الذي يربط امال وطموحات الجماهير بتربة الوطن). والبناء الاقتصادي المتين المتطور ،(الذي يوقف النزف في الزمن »و«المواد» و«الوسائل») والوضع الاجتماعي السليم، علاقات وتنظيم (الذي يزج طاقات الجماهير جميعاً إناثاً وذكوراً في البناء والتغير) .

وان العلاقة التي توصلنا الى تقريرها هي العلاقة الطردية السابقة ، فكلما تعمق هذا الثابت ، كلما ترسخ عطاء الامة الحضاري .

هوامش البحث : —

١ — انظر . حسن شحاته سعفان ، الموجز في تاريخ الحضارة ، القاهرة ١٩٥٩ ص١ — ٢.

٢ — القرآن الكريم : الزمر ، ٩: ٣٩ .

٣ — د. حامد عمار ، خواطر حول المردود الاجتماعي والاقتصادي لمحو الامية ، وزارة التربية (قدم إلى مؤتمر بغداد لمحو الامية) ص١٥٧ .

٤ — انظر " استراتيجية محو الامية في البلاد العربية" وثيقة اقرها مؤتمر الاسكندرية الثالث لمحو الامية ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص١٤ — ١٩ .

٥ — انظر :

آ — الوثيقة الموسومة « تحليل وتقويم الوضع الحالي لمحو الامية في البلاد العربية » الجهاز الاقليمي العربي لمحو الامية ، ١٩٧١ .

ب — د. محمد احمد الغنام ، الاستيراتيجية الجديدة لمحو امية الكبار في العراق، وزارة التربية ، ص١٠٨ .

٦ — انظر :

آ — الوثيقة المذكورة ، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الجهاز الاقليمي لمحو الامية ، ١٩٧١ ، ص٢٤٠ .

ب — عبد العزيز البسام ، استراتيجية مقترحة لمحو الامية والعناصر المطلوبة لوضع خطتها في العراق ١٩٧٣ ، (١٩٧٤) ص٣ — ٤ .

٧ — طرحنا هذا الموقف باقتفاء اثر . الياس فرح ، تطور الايديولوجية العربية الثورية ط٥، بيروت ١٩٧٥ ، ص٤٢.

٨ — طرحنا الموقف متاثرين برأى الاستاذ ميشيل عفلق ، من معاني الانقلاب (في سبيل البعث)،

ط١١، بيروت ١٩٧٤ ص٨١ — ٨٣ .

٩ — انظر :

آ — الوثيقة الموسومة « اوضاع الامية في البلاد العربية واستراتيجيات مكافحتها الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ، ١٩٧٥ ، ص١٥ — ١٦

ب — د. محمد احمد الغنام ، المصدر السابق ، ص١١٠ .

١٠ — انظر د. محمد احمد الغنام ، المصدر السابق .

١١ — التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٧٤ ، ص١٤٨.

١٢ — المصدر السابق ص١٤٩ .

١٣ — د. الياس فرح ، الابعاد السياسية للحملة الوطنية الشاملة لمكافحة الامية في العراق (قدمت لمؤتمر بغداد) ص٢ .

١٤ — لجنة في مؤسسة الثقافة العمالية ، محو الامية والتنمية ، ط١، بغداد ١٩٧٥، ص٣١ .

١٥ — صدام حسين ، الثورة والتربية الوطنية ، ط١، بغداد ١٩٧٧ ص١٤٥ — ١٤٦ .

١٦ — طرحنا هذا الموقف في ضوء راى الاستاذ ميشيل عفلق ، طموح البعث (في سبيل البعث) ص٤٤ — ٤٥ .

١٧ — محمد محجوب ، كلمة القاها في مؤتمر بغداد لمحو الامية الالزامي ، (ونشرت في اعمال المؤتمر) ص٤٣ .

١٨ — انظر د. الياس فرح ، المصدر السابق .

١٩ — د. محمد نبيل نوفل ، محو الامية وخطط التنمية القومية ، وزارة التربية (منشورات مؤتمر بغداد) ص١٤٩ .

٢٠ — د. الياس فرح ، المصدر السابق .

٢١ — انظر لجنة في مؤسسة الثقافة العمالية ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

٢٢ — انظر د. الياس فرح و المصدر السابق .

٢٣ — المصدر السابق .

٢٤ — د. الياس فرح ، تطور الايديولوجية العربية الثورية ، ص٣٢ .

٢٥ — المصدر السابق .

٢٦ — ميشيل عفلق ، خبرة الشيوخ واندفاعات الشباب (في سبيل البعث) ص٢١ — ٢٢ .

٢٧ — التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ص١٣٧ .

٢٨ — انظر المصدر السابق ، ص٥٠.

٢٩ — د. الياس فرح ، المصد السابق ، ص٣٨ .

٣٠ — انظر المصدر السابق ص٣٨ — ٣٩ .

٣١ — الاستاذ محمد محجوب ، الكلمة السابقة ، المصدر السابق ، ص٤٣ .

٣٢ — التقرير السياسي ، ص٥٢ .

٣٣ – المر السابق ، صص ٥٢ –٥٣ .
٤ – لجنة في مؤسسة الثقافة العمالية ، المصدر السابق ، ص٢٧ .
٣٥ – انظر د. محمد نبيل نوفل ، المصدر السابق ، ص١٢٨ .
٣٦ – المصر السابق ، ص١٤٩ . ملح
٣٧ – انظر لجنة في مؤسسة الثقافة العمالية ، المصدر السابق ص٢٧ – ٢٨.
٣٨ – التقريزير السياسي ، ص٤٣ – ٥٤ .
٣٩ – د. محمد نبيل نوفل ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
٤٠ – وزارة التربية ، مؤتمر بغداد لمحو الامية الالزامي ، ص ص٢٢ – ٢٣.
٤١ – انظر د. محمد نبيل نوفل ، المصدر السابق ، ص ص١٢٨ – ١٢٩ .
٤٢ – لجنة في مؤسسة الثقافة العمالية ، المصدر السابق ، ص ص٣٠ – ٣١.
٩٣ – د. محمد نبيل نوفل ، المصدر السبق ، ص١٥٣
٤٤ – طرحنا هذا الموقف على ضوء راي الاستاذ ميشيل عفلق ، التنظيم الانقلابي (في سبيل البعث) ص ص٦٧ –٦٨.
٤٤ – طرحنا هذا الموقف بوحي راي د. الياس فرح ، تطور الايديولوجية العربية الثورية ص ٦٩ .
٤٦ – وزارة التربية ، مؤتمر بغدا لمحو الامية الالزامي ، ص٢٢.
٤٧ – صدام حسين ، عن الثورة والمراة ، ط١ ، ١٩٧٧ ، ص١٧–١٨ .